

الانتخابات الأمريكية وقضايا الشرق الأوسط

2006/11/21

في أعقاب فوز الديمقراطيين في الانتخابات الأخيرة التي اجريت في أمريكا في شهر نوفمبر 2006 طغت موجة من التفاؤل في العديد من الدوائر العربية، حيث استبشرت تلك الدوائر بحدوث تحول كبير في سياسة أمريكا الشرق أوسطية، أو حدوث تحرك في العملية السلمية على أقل تقدير. وعلى الرغم من أن هناك احتمالاً قوياً بحدوث بعض التحرك في العملية السياسية، إلا أن التحرك المنشود في حالة حدوثه ليس من المتوقع أن يكون كبيراً بالقدر المطلوب لحدوث تقدم ملموس على طريق تسوية القضية الفلسطينية وإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي. إن الديمقراطيين كانوا، وعلى مدى تاريخهم الطويل في الحكم، أكثر حماساً لإسرائيل ودعمها لسياساتها التوسعية، إذ كان الرئيس ترومان الديمقراطي أول رئيس دولة في العالم يعترف بدولة إسرائيل، كما أن غالبية يهود أمريكا يعتبرون أنفسهم ديمقراطيين وبصوتون في الانتخابات لصالح مرشحي الحزب الديمقراطي.

حين زار رئيس الوزراء الإسرائيلي واشنطن قبل أيام لم يتحدث الرئيس الأمريكي كعادته عن عملية السلام الإسرائيلية - الفلسطينية التي أصبحت في عداد الأموات. وكما أشارت التقارير الصحفية والتحليلات السياسية التي سبقت وصول إيهود أولمرت إلى البيت الأبيض كانت القضية الرئيسية التي جاء من أجلها هي ملف إيران النووي. ولقد اتفق رئيسا الدولتين على أن إيران تشكل خطراً على مصالح الدولتين وعلى الأمن العالمي، وعلى عدم السماح لإيران بامتلاك السلاح النووي. أما فيما يتعلق بالمباحثات الإسرائيلية - الفلسطينية، فإن أولمرت قال بأنه مستعد للاجتماع بالرئيس الفلسطيني دون شروط. وهذا يعني أن الأمل في إحياء عملية السلام على أساس خارطة الطريق، أو بالرجوع إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة لم يعد ضمن خيارات السياسة الإسرائيلية أو الأمريكية.

كان من الأمور التي حيرت بعض المراقبين السياسيين العرب أن الانتخابات الأمريكية الأخيرة لم تشهد كسابقتها أي حديث عن قضية الصراع العربي - الإسرائيلي. لكن المتابع لتطورات المواقف السياسية لكلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي على مدى الأربعين سنة الأخيرة يدرك أن طرح قضية الصراع العربي - الإسرائيلي كان يأتي دوماً بهدف الزيادة فيما يتعلق بمدى التزام كل حزب بدعم الدولة اليهودية عسكرياً ومالياً ودبلوماسياً. وحيث أن كلا الحزبين أعطيا أقصى ما يمكن لإسرائيل، فإن المجال لقيام أي منهما باتهام الآخر بالتقصير في دعمها أو أن لديه نوايا للضغط عليها لم يعد له وجود. وكما أثبتت التقارير السرية والكتب العديدة التي نشرت خلال العامين الأخيرين، جاء قرار الرئيس بوش بغزو العراق لأسباب عدة في مقدمتها توفير المزيد من الحماية لإسرائيل، وتدمير قدرات العراق العسكرية.

إن الحديث الدائر اليوم في واشنطن ولندن حول إيجاد مخرج من الورطة العراقية أدى إلى تجرؤ البعض، ومنهم توني بلير رئيس الوزراء البريطاني، إلى القول بصوت مسموع أن الصراع العربي - الإسرائيلي يمثل لب الصراع في منطقة الشرق الأوسط، وإن الاستمرار في إهمال ذلك الصراع يعرقل كل الجهود لحل الأزمة العراقية ومحاربة الإرهاب. ومما ينبئ بإمكانية إحياء عملية السلام العربية - الإسرائيلية أن جيمس بيكر ولي هاملتون، رئيسي اللجنة التي شكلها الكونجرس للبحث عن مخرج من الأزمة العراقية، قالوا إن حل الأزمة هو سياسي وليس عسكري، وأنه لا بد من التعامل مع منطقة الشرق الأوسط من زاوية واسعة تأخذ بالاعتبار قضية الصراع العربي - الإسرائيلي، وتقوم بإشراك كل من سورية وإيران في المباحثات. وهذا يصب في القناة العربية التي تنادي بعقد مؤتمر دولي لحل الصراع مع الدولة اليهودية. وعلى الرغم من رفض الحكومة الإسرائيلية لفكرة المؤتمر الدولي، إلا أن ضعف الموقف الإسرائيلي اليوم، خاصة بعد الفشل في لبنان، يجعل الفكرة أكثر قابلية للتحقق من أي وقت مضى.

هناك من يقول بأن ضعف موقفي رئيس الوزراء الإسرائيلي والرئيس الفلسطيني يجعل من الصعب على أي منهما القول بحل سياسي لا يتجاوب مع مطالب شعبه المعلنه. كما أن ضعف الرئيس بوش بعد فوز الديمقراطيين في الانتخابات الأخيرة يجعل من الصعب عليه الضغط على إسرائيل للقبول بفكرة دأبت على معارضتها أو بحل لا يحقق مطالبها الأمنية والجغرافية. لكنني اعتقد، وكما أشرت في كتاباتي عن حل النزاعات الدولية، أن ضعف أولئك القادة جميعاً يعتبر فرصة غير عادية لقبول الجميع بفكرة المؤتمر الدولي وما قد يصدر عنه من حلول، باعتبار ذلك تجسيدا للإرادة الدولية، وليس تنازلاً من طرف للطرف الآخر. وفي الواقع، إن حلاً دولياً للصراع العربي - الإسرائيلي يعطي كافة الأطراف

المعنية المبررات الكافية للقبول به مع الاحتفاظ بماء الوجه، والادعاء أنهم، في وجه الضغوط الدولية، حققوا أكثر مما كان متوقعا. ولهذا أرى وجوب قيام الدبلوماسية العربية بدورها في تشجيع كافة الأطراف المعنية، خاصة أمريكا وبريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي الرئيسية وروسيا والصين، لتبني فكرة المؤتمر الدولي ودعم ما قد يصدر عنه من قرارات مسبقا.

إن نجاح المؤتمر الدولي في حال انعقاده سوف يتوقف على قدرة الجراة اللاعبين الأساسيين في طرح حل متكامل لقضية الصراع يتحدون به ومن خلاله الأطراف الأخرى ويحول المفاوضات إلى مباحثات حول مراحل التطبيق وليس حول التفاصيل. إن إتباع أسلوب لحل النزاع يقوم على فكرة الخطوة خطوة هو حل لن يتحقق، وأنه لا توجد سابقة لنجاحه في تاريخ النزاعات الدولية. لقد أشرت على الرئيس عرفات أكثر من مرة تبني أسلوب الحل الشامل، وقدمت له أفكارا محددة ومتكاملة، إلا أنه، ورغم قبوله بما طرحت من أفكار، لم يملك الجراة الكافية لوضعها على طاولة المفاوضات... ولقد أن الأوان للطرف الفلسطيني أن يستحوذ على الجراة المطلوبة ويطرح تصورا متكاملا لحل سياسي تقبل به المجموعة الدولية ويتحدى به إسرائيل شعبا وحكومة وأحزابا سياسية.